

المغلوبون على أمرهم

الفصل الأول

مدنيّة الأتروسك ETRUSQUES

شعور الانسان وتحسسه بامور السياسة يفوق كثيراً تحسسه واهتمامه بالمسميات الجغرافية. لنأخذ ، مثلاً ، اغريقياً متوسط الثقافة من معاصري بركليس . فهو يعرف معرفة تامة ان الدول والممالك تنمو وتتطور ، ثم تهرم وتشيوخ وتنقرض عن وجه الارض . فهو يسلم مقتنعاً ان بالامكان قيام سيطرة على البحر المتوسط قوامها جنود وموظفون اداريون من اصل ايطالي ، مثلاً . الا ان صاحبنا هذا يجهل تماماً ان المصطلحات الجغرافية ومدلولاتها عرضة للتبدل والتغير والتطور . فاذا ما قام احدهم وقال له : ان بعد اربعة قرون تطلق كلمة ايطاليا ، على شبه الجزيرة التي تقع بين البحر الادرياتيكي والبحر التيريني وجبال الألب ، لكان وقع هذا الكلام عليه اشد من وقع الصاعقة . فالاغريق عرفوا هذا المصطلح الجغرافي واستعملوه بعد ان تسلموه من احدى اللهجات المحكية الوطنية المستعملة في هذه الرقعة من الارض ، دون ان نعتد في اثبات ذلك مصدراً اصيلاً نعول عليه ونأتم به . الا ان هيرودوس اطلق هذا اللفظ الجغرافي ، لدى استعماله له ، على مقاطعة كالابريا ، دون سواها . وليس من الصعب ان نتبع توسع مدلول هذا المصطلح ، في المجال اليوناني اولاً ، ثم في المجال الروماني ، بالنظر لصروف الفتوحات والمؤسسات الرومانية المتتالية . وقبل عهد يوليوس قيصر بقليل ، اي بعد منتصف القرن الاول ، قبل الميلاد ، اطلقت كلمة « ايطاليا » على شبه الجزيرة المعروفة بهذا الاسم اليوم ، بما فيها سهل البو Po ، حتى حدود جبال الألب .

وهذا التطور في مدلول المصطلح المذكور يمكن اتخاذه رمزاً . ففي الوقت الذي بلغت فيه الحضارة اليونانية اوجها من الازدهار والتجلي ، لم تكن ايطاليا بعد « تمبيراً جغرافياً » . فقد استوطنتها شعوب وقبائل مختلفة الاصل والعرق ، تتكلم لهجات متباينة اصلاً وفصلاً ، وتسير على نظم حضارية متباعدة . فالى الحين الذي جعلت روما حقيقة واقعية لهذه البلاد ، لم يكن لايطاليا سوى وجود فكري او عقلي ، في عرف الاغريق ، حتى ان الايطاليين انفسهم الذين لم يكونوا

ليعنوا الا بشؤونهم الخاصة، لم يكونوا ليفقهوا الجغرافية بلادهم معنى ولا يرون لها اية وحدة طبيعية .
الا ان شعباً واحداً من شعوب تلك البلاد، لعب دوراً بارزاً في تاريخها . فكل الدلائل تشير الى
ان حضارة زاهية قامت فيها وازدهرت ، وان فكرة وحدة البلاد او توحيدها قد تكون
جالت في خواطر هؤلاء القوم وانجسوا في تحقيقها الاتجاه السوي . فما كان ينطل القرن الرابع
قبل الميلاد حتى رأينا الاتروسكيين يخلون مسرح التاريخ ويغيبون عنه الى الابد .

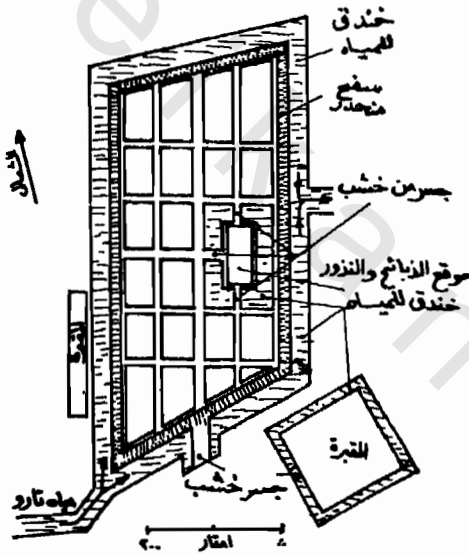
١ - تاريخ ايطاليا القديم

مشكلات غامضة متشابكة قضية سكان شبه الجزيرة الايطالية وعهد ما قبل التاريخ فيها، هي
من الامور التي تثير مشكلة دقيقة ليس هنا مجال البحث فيها
طويلاً . فبقطع النظر عن المعلومات الضعيفة الوجيزة، المتضاربة فيما بينها والمستمدة من مؤرخي
اليونان ، علينا ان نعول هنا على ما يدنا به علم فقه اللغة وعلم الآثار الايطالية . الا انها معلومات
اعجز من ان تزيل الابهام والغموض الذي يكتنف هذه القضية .. ففي الوقت الذي نرجو ان
نفيد كثيراً ، في المستقبل، من علماء الفيلولوجيا ، نرى ، على عكس ذلك تماماً ، علماء الآثار
يزيدون الامور تعقيداً بالآراء المتضاربة التي تثيرها نتائج الحفريات والتنقيبات الاثرية التي
يقومون بها والتي بنى على نتائجها العلماء الآمال العريضة . لا مراء انهم عولوا كثيراً على الطقوس
الدينية ومناسك العبادة، واتخذوا من مراسم دفن الموتى وحرق جثثهم دليلاً يميز لبعض الشعوب
ولبعض الحضارات . ولما كنا هنا ، والحق يقال ، امام جهل قاضح للمناطق والادوار التاريخية
المتعاصرة ، كان لا بد لنا من ان نقتصر في حديثنا ، على العادات المعمول بها ، هذه العادات
التي تخضع لتقلبات وتغييرات من الصعب تحليلها ، وهي تغييرات استمرت حتى بلغت صميم
الامبراطورية الرومانية ، حيث تغلبت عادة دفن الموتى وساد العمل بها .

والشيء الوحيد الثابت والاكيد معاً، هو تنوع عناصر السكان في البلاد، الامر
فسيفساء عنصرية الذي يحدو بنا للنظر اليه نظرة عجلى دون ان نتعرض بكلمة للاتروسك
وللقضايا التي يثيرها الوجود الاتروسكي .

نجد الى الشمال الغربي من ايطاليا، والغرب الاوسط من صقلية وجزيرتي كورسكا وسردينيا،
عناصر اثنوغرافية قديمة محافظة . ومن الحكمة وحسن الفطن ان نعتنا اجمالاً بـ « شعوب البحر
المتوسط » . وبالرغم من التسميات المختلفة التي اطلقت عليها عبر التاريخ القديم ، « كالليغوريين »
الذي عُرفت به الاقوام التي كانت تحتل ، حتى اواسط القرن السادس قبل الميلاد، منطقة اوسع
بكثير من المقاطعة المعروفة اليوم بمقاطعة « ليفوريا » اذ كانت تشمل جانباً كبيراً من ايطاليا
الشمالية حتى حدود جبال الألب ، يبدو من الراجح، ان هنالك وشائج عرقية بين هذه الاقوام
و « الايباريين » دون ان يتمكن علماء اللغات الذين يعنون بدراسة الاسماء ، من الوصول
الى نتائج تحوز الاجماع .

وهذه الجماعة البشرية التي هي ولا شك، أقدم العروق البشرية التي أهلت بها إيطاليا، لا بد أن تكون اكتسحت إيطاليا برمتها . والظاهر أنها اضطرت إلى الانطواء على نفسها والانكماش إلى الغرب أمام ضغط الهنـد الأوروبيـن الذين كانوا يسيطرون : على الشمال الشرقي والقسم الأوسط، والجنوب، من شبه الجزيرة الإيطالية ، كما سيطروا على النصف الشرقي من جزيرة صقلية . وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هؤلاء القادمين بـ « الإيطاليك » ، بالنظر لتأثيرهم . فالهنـد الأوروبيون ، مصطلح فيلولوجي أو ألسني ، يتميزون عن أسلافهم الذين حلوا محلهم ، بالوشائج التي كانت تشد الملهجات التي كانوا يحكونها . فبدلاً من أن يكونوا كلاً متجانساً، الفوا عدداً من البطون والافخاذ ، بينهم : الفينيت ، والأمبريون ، والسابيز واللاتين والسمنيين وغيرهم . ونرى هؤلاء الأقوام في أواخر الألف الثاني ، يستقرون نهائياً حيث نجدهم منذ ظهور



الشكل ١ - مخطط تيراماريه دوكتيلازو دي فونتيلانو في ولاية بارما ، وفقاً للحفريات التي جرت في أواخر القرن التاسع عشر والتي يتضارب العلماء اليوم رأياً في تمويلها عليها.

استقرت إلى الغرب من جزيرة صقلية هي أقوام أسبوية هاجرت إليها بعد حروب طروادة وسقوط الإليون . وعلى السواحل الشمالية والغربية من صقلية أنشأ الفينيقيون مستعمرات صار أمرها فيما بعد، إلى ذرارهم من القرطاجيين ، منها مثلاً : بانورموس (باليرمو) . ومنذ القرن الثامن ، أخذ الإغريق ينشئون مستعمرات لهم ومدناً على سواحل إيطاليا الجنوبية التي عرفت فيما بعد باسم « اليونان الكبرى » وذلك في شقة من البلاد امتدت من مدينة كوم شمالاً، إلى مضيق أوترانت جنوباً ، كما أنشأوا مدناً عديدة لهم على ساحل جزيرة صقلية الشرقي والجنوبي، ثم جاءت قبائل غالية استقرت أفخاذها في سهل نهر البو .

اول هذه الحضارات حضارة التيرامار
كم كنا نتمنى لو نستطيع تحديد كل من هذه الحضارات التي
انشأتها كل من هذه الشعوب. ولما كانت هذه الشعوب لم
تعش منعزلة ، فقد خضعت لمؤثرات شتى تداخلت وتشابكت بعضاً ببعض ، يصعب تحديدها
وتبيين مقوماتها ، اعاقت تطورها الداخلي واخرته . فبدلاً من ان تساعد الحفريات الاثرية على
إلقاء اضواء كاشفة ، زادت الامور تعقيداً بما أثارته من مجادلات ونظريات متضاربة. وهنا ايضاً ،
علينا ان نقنع بعد الكثير من التضحيات ، ببعض امثلة نسوقها نموذجاً دون ان نحاول عبثاً
رسم توافق دقيق بين شعب معين من هذه الشعوب وبين الحضارة التي انشأها .

يتميز تاريخ ايطاليا ، في العصر الحجري الجديد ، باقبال الناس على النحاس الامر الذي دعا
المؤرخين الى نعت هذه الحقبة بالعهد الحجري النحاسي . ولم يبرز مطلع الألف الثاني حتى برز
معه استعمال الشبهان فاتح ظهور ما يسميه المؤرخون بحضارة التيرامار (اي التربة الغضارية)
التي تتميز باستعمال الانسان للارناتاد المنصوبة في بطن التربة لتقويتها وتدعيم الاكواخ المصنوعة
من الطين ، تقليداً او تشبهاً بالدعائم المائية المنصوبة في البحيرات . وتوصل العلماء في اواخر
القرن التاسع عشر الى الكشف ، في بعض الاماكن ، عن تخطيط رتيب لبيوت السكن - وهي
نظرية يتنكر لها العلم اليوم - يحيط بها من الخارج خندق وسفح منحدر يستدير حولها ، مع
تبليط للشوارع وإيجاد ساحة او باحة للاجتماعات العامة ، واقامة مراسم العبادة عليها .

وكان يمثلو هذه الحضارة يعتمدون في اقامة هذه الانشاءات ، على الفؤوس والمناجل
والمناشط والسيوف . وازدهرت حضارتهم في سهول لبارديا ، وفي الجنوب من سهل البو . ويرى
البعض ان هذه الحضارة نقلها فاتحون غزوا البلاد من الشمال . إلا ان غيرهم يرى ، بعد ان شهدوا
معالم حضارات اخرى من العصر الشبهاني في ايطاليا ، ولا سيما معالم الحضارة الابينية
(نسبة الى جبال الابنين *Apennin*) بأنها حضارة محلية يبرز فيها بوضوح الطابع الغربي
قامت في سهل يخترقه العديد من الانهر التي تدفقه باستمرار بالرواسب والطيني .

الحضارات الفيلانوفية
ثار مثل هذا الجدل بين العلماء ، حول تباين معالم الحضارات الحديدية التي
قامت في مطلع الألف الاول قبل الميلاد . فراح البعض يردّها الى شعوب
وقبائل جديدة ، مستشهدين على ذلك بعدم عثورهم على دور وسيط من البرونز ، كما هي الحال مثلاً
في مقاطعة اللاتيوم ، أو بروز مفاجيء لعنصر الحديد . وقد لوحظ ان هنالك اماكن تم فيها
الانتقال من معدن الى آخر ببطء كلي ، انما باستمرار موصول ، الأمر الذي يتنافى مع
اقتراض غزو جديد .

ولعل ابرز الحضارات الحديدية واطهرها على الاطلاق ، هذه الحضارة المعروفة بـ « الحضارة
الفيلانوفية » نسبة لموقع يقع على بعد ٨ كلم من مدينة بولونيا . ولعل النموذج الذي يمثل هذه
الحضارة خير تمثيل هو جرة العظام المخروطية الشكل المزدوجة ، وهي تتألف اصلاً من وعائين من
الخزف مقفلين من الاسفل . والغالب في صناعة خزفيات هذه الحقبة ، ان الجرة تصنع احياناً
من البرونز او الشبهان . فمع ان هذه الحضارة عرفت الحديد وتدبرته واستعملته ، فقد آثرت

عليه الشهبان ، فاقبلت على استخدامه والتعويل عليه بعد ان تفننت في طرقه وترقيقه . والشاهد على استعماله بكثرة وشدة الاقبال عليه ، هذه الارقام الثلاثة نذكرها هنا . فقد كشفت حفريات قامت بالقرب من بولونيا ٤٠٧٣ فأساً و ١٠٧٦٨ اداة اخرى ، كلها من الشهبان ، يزن مجموعها ١٤١٨ كيلوغراماً . وهذه الحضارة قامت وازدهرت في اواخر القرن التاسع قبل الميلاد ، ثم اخذت تتطور حتى اواخر القرن السادس ، منتشرة في جميع انحاء ايطاليا الشمالية ، الامر الذي حدا ببعض علماء الآثار الى اعتبارها حضارة شمالية ، فردوها الى حضارة «التيرامار» ومضارة ايطاليا الوسطى . فليس بينها وبين حضارة الاتروسك التي انبعثت عنها أي تقاطع .

وهكذا برزت امامنا الحضارة الفيلانوفية التي تقضي بنا الى بعض مميزات الحضارات الايطالية

الحقبة التاريخية فنلجها على مصراعها . وكذلك قل عن الحضارات الحديدية الاخرى التي تتجلى امامنا ، من وقت لآخر بمعالم مختلفة ، متباينة . اما سماتها الخارجية فقلما تبرز لنا واضحة ، جليلة الا في حالتين لا غير .

تبدو الاولى في هذا العرف المتبع ، المعروف «بالربيع المقدس» وهي عادة درج الناس على اتباعها في الازمات الشديدة وايام الضيق ، اذ ينذرون فيها للآلهة ، مواليد الناس والحيوانات الأليفة التي تولد خلال فصل الربيع الطالع . ووفاء النذر كان مدعاة ، كما هو مظنون ، لعادة الذبيحة وتقديم القرابين . انما كان يجري استبدال الذبيحة بفكاك الجليل المولود اثناء الربيع المقدس ، وفصله خارجاً عن القوم ، عند بلوغه الرشد وطرده خارج القبيلة ، وقطع كل صلة له بها . وكانت من جراء الاخذ بهذه العادة ان طلعت جاليات صممت على شق طريقها الى الحياة واقتطاع محل لها تحت الشمس ، مها كلفها الامر . فقد عمل بهذه العادة في ايطاليا بين قبائل السمنوم الجليلين وبين السابنز ، ومنهم امتدت الى الرومانين فاقبستوها ، وعملوا بها على نطاق ضيق حتى القرن الثاني قبل الميلاد ، فاننا نجد لها مرعية الاجراء عند الكلتيين في اوروبا الوسطى . ولذا لا بد من القول بوجود عادة من هذا النوع غلب الاخذ بها عند بعض الاقوام الهند الاوروبية .

ويستدل من كتابة اثرية مرقومة على احد الاعمدة المحيطة بـ «جندي كابستراتو» ليس هنا مجال الاستطراد في شرحها وتفصيلها ، ان سكان البلاد الأصليين كانوا يعرفون الكتابة ويمجدونها في الوقت الذي تم فيه نحت هذا التمثال ، في النصف الثاني من القرن السادس ، وهي كتابة اخذت امجديتها من الايجدية اليونانية . ويكشف لنا هذا التصوير البدائي الجاف ، ولو من بعيد ، وبشكل ملموس ، تأثره بالفن الاغريقي القديم . ففي كلا الحالتين نرى المدنية الهلينية بحاجة ماسة للاتروسكيين لتنتقل بواسطتهم الى قلب شبه الجزيرة الايطالية . ومها يكن من الامر ، فلا بد من ان ننعم النظر ملياً في الاثر الذي خلفته وراءها حضارات شرق البحر المتوسط في سكان ايطاليا .

قامت منذ عهد بعيد علاقات وطيدة متنوعة ، بين طرفي البحر المتوسط . فان لم تترك حضارة كريت القديمة اثرها في صقلية ، فقد خلفت فيها تجارة المينيين بعض المعالم . وتزعم بعض الاساطير

حضارات شرقي البحر المتوسط
وايطاليا

الآغريقية أن الملك مينوس، لقي حتفه في صقلية، عندما كان يقوم بحملة حربية عليها. والفينيقيون أنفسهم نقلوا إلى شواطئ البحر المتوسط الغربية، مع ما نقلوا من محاصيل الشرق، منتجات صناعاتهم التي حرصوا على تنقيتها وبيعها من سكان تلك الأقطار النائية. والتطور التقني الذي عرفته المدن الإيطالية في العصر الشباني يبقى سرّاً مغلقاً واحجية محيرة لولا تأثر هذه المدن بصناعات الشرق. وزاد أثر هذه العوامل عمقاً عندما راح القرطاجيون والآغريق ببسط نفوذهم على تلك الشواطئ، بما أسسوا عليها من مستعمرات وما أنشأوا فيها من جاليات، فنشطت بالتالي المبادلات والمقايضات التجارية، وراح سكان إيطاليا في الجنوب والوسط، يقبسون، أسوة بالآتروسكيين، وعلى نطاق واسع، من حضارات الشرق، فتزداد طاقات مدنيّتهم خلقاً وإبداعاً. إلا أنهم نقلوا عن الآغريق أكثر مما أخذوا من القرطاجيين الذين اقتصر دورهم على النقل والسمرة. وقد أخذوا بروعة الفن الروماني الذي أثر فيهم عميقاً وهياًم لاقتبال المؤثرات الدينية. ففي الإيجديات الإيطالية شهادة عدل ودليل ساطع على بعد غور الأثر الآغريقي فيها. فعبّرت الإيجدية الفينيقية اليهم عن طريق الإيجدية اليونانية. ومهما يكن من ضخامة هذه الاقتباسات واتساعها فقلما بلغت حد التمثيل والاستمراء. جاء القرطاجيون والآغريق بمدنيّات تفوق بكثير الحضارات الوطنية التي تفتحت براعمها في إيطاليا قديماً، وقد هزتهم مشاعرهم الوطنية فأبوا أن يرعوها ويخلصوا لها السعي الحميد لتأمين إشباعها، شاهد على ذلك، عدم أكثرائهم بهذه المؤثرات واللغات التي تبدى خطها الدقيق لباحثين عنيدين، ورفضوا أن يبذلوا أي جهد في سبيل نشر هذه المدن مؤثرين إبقاء البرابرة في جهلهم يعمون، ليسهل استعمالهم شغلة وسخرة. والحق يقال أن وجودهم في صقلية لم يبق دون أثر. فقد راح السكان البدائيون في غربي هذه الجزيرة، ولا سيما قبائل الأليم بينهم، وهم أسويو الجدر، يخضعون في بادئ الأمر، لمؤثرات الحضارة البونيقية، ثم لم يلبثوا بعد لأي من الزمن، أن تأغرقوا، أسوة بسكان شرقي الجزيرة. ومرد هذا المسلك ينهجونه، انغمسوا في جزيرتهم، وإقبالهم طوعاً واختياراً، على مشاركة الآغريق والقرطاجيين، الحروب التي قاموا بها، ضد غزاة أغراب. ونشهد شيئاً من هذا يتم في شبه الجزيرة الإيطالية. فبقطع النظر عن الآتروسك الذين اشتهروا بمنافستهم للآغريق وبعدهم الشديد لهم، لم نر شعباً واحداً بين الشعوب الإيطالية يتنكر للغة الأم أو للغة القومية، كما أننا لا نرى شعباً واحداً منهم، يتنكر لمنظّماته الاجتماعية ونظمه الدينية والمقائدية، ويوجد الروح الوطنية فيه. فلم تصبح إيطاليا يوماً بالنسبة للآغريق، ما كانت لهم آسيا الصغرى من قبل.

ولذا تم المقدور ووقع ما لا بد من وقوعه دون أن يترك ذلك على قرطاجة نفسها أي أثر يذكر، ما لم تكن أنشأت لها موطئ قدم في شبه الجزيرة الإيطالية. فلم يلبث آغريق اليونان الكبرى أن تعرضوا لضغط شديد من قبل الإيطاليك. فبعد غلبتهم على الآتروسك رأوا أنفسهم وجهاً لوجه مع الشعوب القاطنة إلى

الجنوب من سلسلة جبال الابنين ، الذين اشتد منهم الساعد وقويت شوكتهم وأصبحوا مفزعة لجيرانهم ، اثر النجاح الذي لاقوه ضد الاغريق من سكان صقلية . فبعد ان عملوا مرتزقة في جيوش الاغريق ، انتظموا كتائب مدربة استطاعت ان تملي ارادتها على أسياها . فقد قام مرتزقة المامرتين - عبدة الاله مامرتوس (اله الحرب مارس) بنهب مدينة مسينا ، عام ٢٨٨ ، واتخذوا منها دار سكنى لهم . وكان هؤلاء المرتزقة ، على الغالب ، من قبائل السمينيين ، جاؤوا صقلية في خدمة سيراقوزة والعمل في جيشها . وكانت مدينة تارنت تعاني ، اذ ذاك ، الامرين من عنفوان جيرانها وعتهم ومطامعهم العريضة ومعاملاتهم السيئة . وهكذا بدت المستعمرات والجوالي الاغريقية في الغرب ، أدنى من قاب قوسين الى الزوال والاضمحلال ، بعد ان ضعف شأنها في ايطاليا من جراء الحروب الضروس التي خاضت غمارها في صقلية ضد قرطاج من جهة ، وخلال المنازعات الدامية التي أقامت هذه المستعمرات وأقعدتها بعضاً على بعض ، فأهكتها وجعلتها لقمة سائغة في فم روما ، فبسطت عليها بعد حروب طويلة ، سيطرتها المنقذة وسلامها المنعش .

وقد عرفت هذه الجوالي الاغريقية عهداً يذكر من الازدهار السياسي والثقافي ، فساهمت في القرن السادس ، بصورة مجدية ، بإعلاء ونشر الحضارة الهلينية من الوجهتين الفنية والفكرية . ففي مطلع الجيل الخامس قبل الميلاد ، إبان حكم آل دايونيدس ، وخلال القرن الرابع أثناء ولاية دنيوسوس القديم ، استطاعت سيراقوزة ان تنشئ لها نوعاً من الامبراطورية المهيبة الجانب . إلا ان طلائع الانحطاط تفشت في هذه الجوالي ، منذ منتصف القرن الرابع . بالحقيقة ان كل شيء أغرى الاغريق بآسيا : حضاراتها القديمة ، وكنوزها المكنوزة ، والماضي السحيق للمستعمرات التي أنشأوها على سواحل البحر وكثرة الجزر المتناثرة حباتها في بحر إيجه . استطاعت كورنثس ان تنشئ مدينة سيراقوزة في صقلية ، التي بلغت من بعد الشأ وخطر الشأن ما جعل اثيناترون اليها ، الفينة بعد الفينة ، باشتهاء . إلا ان قيام الحواضر الاغريقية المغربية على السواحل المطلة من الشرق ، على بحر إيجه ، بينما سواحل اليونان الغربية بقيت عطلاً منها ، لم يكن من فعل القدر الغاشم ، ولا كان جذبها القوي من فعل الخيال . فاستمر الاغريق في تشوقهم الأمر اليها ، وفي تطلّعهم نحو الشرق ، بعد ان ساهموا ، من حيث لا يشعرون ، ببعث اليقظة ونشر الوعي القومي في ايطاليا ، وعملوا على تحريك القوى والقدرات الكامنة فيها ، وهي قوى وطاقات لم تلبث ان عملت ضدهم وانتصبت في وجههم .

٢ - الاتروسك

كان باستطاعة القدر ان يضع بأسرع مما فعل ، حداً لمخير الاغريق في الغرب ، اذ لم يبلغ تأثيرهم على شعوب ايطاليا ما بلغه من العمق على الاتروسك . فما ان اشتد منهم الساعد حتى أصبحوا خطراً يتهدد الاغريق فينذرهم بشر مستطير لم تساعد على دفعه وتحويله عنهم ، ظروف طارئة . حرصنا حتى الآن على ألا نستفيض بحثاً عن الاتروسك وان لا تتعرض لهم إلا لماماً .

فقد بلغت المدينة التي أنشأوها شأواً عالياً من الازدهار برزت كثيراً ما قام من أمثالها في إيطاليا قديماً . بحيث لا مندوحة لنا الآن من درس هذه المدينة بتبسط .

لا بد لنا ان نبين هنا ، حدود المصادر التي يمكن الركون اليها والاعتماد عليها مصادر البحث
لدراسة تاريخ الاتروسك . فهي من النقص والفقر بحيث توجب التحفظ الذي لزمناه في بحثنا هذا واخذنا النفس به .

اهتم الاغريق والرومانيون بدرس تاريخ الاتروسك والمدينة العظيمة التي خلفوها ، فخصوهم بأبحاث هامة نجحوا منها بذكر مصدرين لأصحابها شهرة واسعة ، اولهما ارسطو الذي لم يغفل عن ان يخص الاتروسك بدراسة واسعة بين الشعوب المائة والثامنة والخمسين التي تعرض لذكرها ، فخص أنظمتهم السياسية بدراسة طويلة . اما الثاني منها فهو الامبراطور كليوديوس الذي وضع كتابه الموسوم « حول التيرينين » وهو كتاب يقع في ٢٠ جزء . إلا ان هذه المصادر كغيرها من الوثائق الأخرى القديمة ، عبثت بها أيدي الدهر وأطاحت بها ، ولم يبق مما يتعلق منها بمدينة الاتروسك الزاهية التي تعد أزهى وأزهر ما اطلعت إيطاليا القديمة من مدنيات ، سوى نتف مبعثرة متقطعة الأوصال .

اما الوثائق الاتروسكية الاصلية ، فهي ، على وفرتها ، لا تبخل غلة ، لعدم استوائها من جهة ، ولافتقارها للدقة المرجوة من جهة أخرى . فهي تتعمل بهذه الآثار العديدة التي عثر عليها الباحثون والمنقبون ، وسوادها الاكبر من القبريات ، بعد ان اقبل علماء الآثار على نبش قبور القوم التي كانت تفص بالحوائج المنزلية ، اكثر من اقبالهم على التنقيب بين معالم المدن التي استوطنوها وعمروها . وبذلك اعدوا الى النور نماذج من حياة هذا الشعب في معتقداته ومناسك عبادته ، وكشفوا بالتالي عما جال في خلدكم من افكار وآراء . والجانب الآخر من هذه الوثائق التي تعود علينا بمعلومات اوثق واوسع ، هي الوثائق المكتوبة ، وهي كثيرة متعددة . منها لفائف وعصائب من الكتان لموميا مصرية محفوظة اليوم في احد متاحف زغرب ، من اعمال يوغوسلافيا ، تحمل بضعة عشرة آلاف من الرثم ، معظمها من الرقم الجنائزية والندرية . وقد امكن قراءة هذه الكتابات ببسر لأن الايجدية الاتروسكية مستمدة من الايجدية الاغريقية . ولكن فك الحرف او قراءته لا يكفي وحده لتفهم النص . وبالرغم من ترجمة نحو من ٣١ كلمة هي من نُقِلَ الاقدمين ، وبالرغم من عثور المنقبين على بعض كتابات ثنائية اللسان مكتوبة بالاتروسكية واللاتينية ، وبالرغم ايضاً من الجهود الطائلة التي بذلها فريق مجرب من علماء اللغات ، لا تزال اللغة الاتروسكية للآن طلسمًا وأحجية غامضة وسراً مغلقاً . ولذا لم يستطع العلماء ان يستخرجوا شيئاً هاماً من هذه النصوص باستثناء مسميات بعض الآلهة وبعض الاشخاص . وهذا الوضع المؤسف يوضح لنا بجملة كم هي حدسية ، النتائج التي توصل اليها علم الفيلولوجيا الاتروسكية .

من هم الاتروسك ؟ هذا الشعب الذي كان يسمى نفسه : « راسنا » ، وبهذا قصة منشأ هذا الشعب
الاسم عرفه الإغريق والإيطاليون . فالكلمة منقوعة من الجذر :

« تورس *Turs* » الذي فُجِهل منه المعنى الصحيح . وهذا الجذر يبرز في الكلمات : *Tyrsenoi* و *Tyrrhenoi* وهذه الكلمة لا تزال خفية في الاصطلاح الجغرافي المعروف « بالبحر التيريني » . والجذر « *Tusci* » الذي يظهر في كلمة توسكانا *Toscana* و *Etrusci* . والتنويه بهذا كله في مطلع هذا البحث يبرز جلياً الشك الذي يعتور معلومتنا حول هذا الشعب .

فالأجوبة عن هذا السؤال المربك يمكن ردها الى ثلاثة ، إثنان منها عرضاً بوضوح ، منذ التاريخ القديم . فقد راح بعضهم ينسب الاتروسك الى شعوب شمالي أوروبا ، ممن دخلوا البلاد عبر هذا القسم من جبال الألب المعروفة : بالألب الرتيك . والبعض الاخرى يرى مع القدماء من المؤرخين ان الاتروسك غزاة فاتحون خرجوا من آسيا الصغرى واستقروا بعد تطواف في ارجاء شتى من البحر المتوسط حيث خطوا رحالهم ، وذلك ربما في اواخر القرن الثالث او مطلع الالف الاول قبل الميلاد . من البديهي الا يكون بين اصحاب هذين الرأيين من يفترض فناء جذرياً او جلاء كاملاً للشعب او الشعوب الذين استباحوا باحته ، اذ ان غزواً يأتي من البحر لا يمكن ان يزحزح او يقتلع امامه سوى عدد محدود من السكان ؛ ففرض الغزاة عندما استقر لهم الامر ، على القسم المغلوب على امره ، نظامهم السياسي ولسانهم وعاداتهم . ويرى فريق ثالث ان طلوع المدنية الاتروسكية وازدهارها انما هو حسيطة تطور وتدرج من الداخل بينما اخذت المدن الاقليمية او المحلية القائمة على سواحل البلاد ، تتدرج وتبدأ وتتطور الهويته ، بفضل اتصالاتها البحرية باقوام البحر المتوسط الشرقي ، مستغلة ما تفيضه عليهم التربة من الخامات المعدنية كالحديد والنحاس . فالاتروسك ، والحالة هذه ، انما هم اصليون بقدر ما يمكن نعت شعوب ايطاليا قديماً بهذا الوصف ، وليسوا مطلقاً غزاة طواريء اغتصبوا البلاد في بداءة التاريخ في شبه الجزيرة الايطالية والحقب التاريخية التي تلتها .

فكل الدلائل ، من اي نوع كانت : اثرية او لغوية ، ومن اي مصدر جاءت : ايطالية بالطبع ، او شمالية او ايجية او اسبوعية حتى ومصرية ، مما استشهد به المؤرخون في معرض بحثهم هذه القضية التي سلسلت مقاليتها بعد القرن الثاني للميلاد ، ثم عاد فارتفع الجدل حولها من جديد في القرن الثامن عشر وما بعده ، عقب العثور على النماذج البديعة التي خلفها الفن الاتروسكي ، لا يمكن استعراضها هنا جميعاً ولا يفيد عرضها شيئاً . والقول بان اكثرية علماء العصر يأخذون بالنظرية التي تُغَلَّب الاصل الشرقي للاتروسك وترجحها ، لا يوجب الاقتناع ولا يلزم الاخذ به ، اذ ان معضلات من هذا النوع لا تُحل بالافتراء وعد الاصوات . فهناك اليوم علماء بارزون يتبنون هذا او ذاك من الرأيين المعارضين لنظيرتنا هذه . فمن الافضل ، والحالة هذه ، الوقوف الى جانب هذه الملاحظة مع العلم ان الوضع الحالي الذي تدعمه الاكتشافات الاثرية والمناقشات العلمية ، والبراهين التي تؤيد المنبت الشرقي للاتروسك ، تبدو ، بالنسبة لغيرها ، اكثر انسجاماً واقل عرضة للجرح من سواها . اما القول باكثر من هذا ، والذهاب الى ابعدمنه ، ففيه عنت وفيه تغرير وتعلت بالمستحيل ، اذ ليس في هذه الحجج ما فيه القطع او الجزم نفيّاً او اثباتاً .

وبما لا مرأ فيه هو ان الموقف الصحيح هو الاعتصام بالنفي ، ولو من اضعف الايمان ، تجاه الزعم القائل ان لغة الاتروسك ليست لغة هند اوروبية .

بين القرن العاشر على الابد ، والقرن السابع قبل الميلاد على قوة الاتروسك واتساع رقعة نفوذهم الاقرب - وهذا المدى الارحب والاروسع الذي تحدده هذه

النظريات الثلاث وتضع فيه التوقيت الزمني الخاص بالاتروسك - نرى فيه هذا الشعب ذا نظام قائم ، اذ سيطر على رقعة من الارض تقع بين البحر التيريني ونهري الارنو والتير . وعلى هذه الرقعة الضيقة من الارض ، أنشأ الاتروسك عدداً من المدن ، اقدمها عهداً وأنشطها طراً تلك المدائن التي الى الجنوب ، على شواطئ البحر ؛ بينما تلك التي قامت في داخل مقاطعة اتروريا الشمالية ، لم يبرز لها نشاط إلا بعد ذلك . فليس ما يميز بنوع خاص ، ازدهار الزراعة فيها ، إلا ما جاء في المصادر التاريخية عن أعمال تجفيف مستنقعات ماريم *Maremma* الساحلية . إلى ان هذا الشعب برز عالياً الشعوب التي أهلت بها ايطاليا فغاصرتهم وذلك بما كان له من النشاط في حقل التعدين وتصنيع الحديد . فقد سيطر على جزيرة إلبا ، الامر الذي الذي زاد من طاقته على تأمين المزيد من الموارد التي كان بحاجة اليها وتوفير خامات الحديد والنحاس التي تفيض بها مقاطعة أتروريا التي رفلت من موارد الارض وما تحت الارض بما لم ترفل به مقاطعة أخرى من المقاطعات الايطالية ؛ وما انصرفت احداها ، عبر التاريخ القديم لاستغلال الثروة المعدنية الكامنة فيها كأنصراف اتروريا لها ، وعلى مثل هذا النطاق الواسع . ان مدناً مثل بوبولونيا وفيتولونيا الواقعةان تجاه جزيرة إلبا ، وفي منطقة المعادن بالذات ، يُصرف نشاط الاهلين فيها ويُقتنى في سبيل استخراج الخامات المعدنية التي تقوم مدن اخرى باعدادها وتوزيعها للتصنيع ، فتفتح هذه الصناعة الباب على مصراعيه امام التجارة الخارجية . وهكذا رأى الاتروسك أنفسهم ، منذ عهد مبكر ، وجهاً لوجه مع جزيرتي كورسكا وسردينيا . وليس ما يحول دون ذهاب الفكر او ما يعطل الظن انهم غامروا برحلات أوسع وأبعد الى الجنوب ، وحتى الى الشرق ، مع ان القرطاجيين والاغريق سيطروا على معظم المرافق التجارية وأمنوا الاتصال بها . فمقاطعة اتروريا رفلت بمصنوعات الذهب والفضة والحديد ، وأدوات الفخار والخزفيات الثمينة التي كانت تصنع في اليونان وتستورد منها ، من كورنثس اولاً ثم من اثينا ، فتجد عند الاتروسك رواجاً عظيماً . فمن أضرحة الاتروسك ومدافنهم اطلع العالم على أجمل الخزف اليوناني الذي يرجع صنعه الى القرن السادس وبدا الخامس قبل الميلاد . وكان الشبهان ومصنوعاته مادة اولية للتصدير للخارج . وهكذا توفر لبعض الطبقات الاجتماعية لدى الاتروسك غنى لا ينكره احد ، وهو ثراء كان الى جانب القوى البشرية والحربية الأخرى التي توفرت لهذا الشعب عاملاً قوياً من بين العوامل العديدة التي أمنت له الازدهار والانتشار في رقعة واسعة من بطاح ايطاليا قديماً .

فقبل غروب القرن السابع سيطر الاتروسك على ثغور نهر التيرير ومعايره ، وذلك باحتلالهم



الشكل ٢ - خريطة قديمة لاييطاليا تبين انتشار الاتروسك

١ - اترويا ٢٠ - مقاطعات احتلها الاتروسك

موقع روما ، وبهذا اقاموا لهم رقة جسر نحو اللاطيوم وايطاليا الجنوبية . اما في القرن السادس فتراهم يحتلون مقاطعة كمبانيا حيث أسسوا مدينة كابو المشهورة واستطاعوا ان يقيموا بينهم وبين فريق من الاغريق من سكان مدينة بوزيدونا حالة من التفاهم والتراضي . وكانت هذه المدينة التي تعرف اليوم بمدينة بيستروم مرفأ نشيطاً تؤمه السفن كما كانت ملتقى للطرق البحرية التي ربطتها بخليج ترانت ، عبر جبال البروتيوم . فكانت بوزيدونا هذه بمثابة البوابة الاغريقية لمقاطعة كمبانيا الواقعة تحت الاحتلال الاطروسي . اما علاقة الاطروسك بالاغريق ، فكانت على الغالب تنسم بالحروب ، كما انطبعت علاقاتها مع قرطاجة التي اضطروا ان يتنازلوا لها عن جزيرة سردينيا . وعلى هذا قس علاقاتهم مع مدينة مساليا (مرساليا اليوم) . وقاموا بحروب مكشوفة مع اغريق مدينة فوقيه *Phocée* الذين جلوا عن مقاطعة ايونيا بعد ان اكتسح الفرس شواطئ آسيا الصغرى الغربية واستوطنوا الساحل الشرقي من جزيرة كورسكا التي اضطروا لمغادرتها عام ٥٣٠ ، بعد معركة أليا البحرية ، (البريا اليوم) ، ثم حروبهم ضد مدينة كوم القائمة في قلب مقاطعة كمبانيا ، واخيراً وليس آخراً ، حروبهم ضد الجوالي الاغريقية في الجزر الايولية (ليباري اليوم) الواقعة الى الشمال من صقلية .

والمد الاطروسي يبدو جلياً واضحاً ، في الاتجاه المعاكس ، أي في الشمال ، في أواخر القرن السادس . فبعد ان اجتازوا سلسلة جبال الابنين احتلوا مدينة فلسطينا ومنطقتها فأصبحت قاعدتهم الكبرى للانطلاق منها الى الشمال ، ومنها بلغوا سهل نهر البو وسيطروا على معظم القسم الشرقي من مجرى هذا النهر بما فيه ساحل البحر الادرياتيكي ، الى الجنوب من مصب نهر الأديج .

عبرنا نحاول التأريخ لهذه الفتوحات التي يقوم بها الاطروسك والتي تؤيدها الكشف الأثري الحديثة ، وان كان المؤرخون القدامى لا يأتون على ذكرها الا لاماً وبإيجاز كلي يقرب من التقدير . ان فقر المصادر حول المد الواسع الذي بلغه الاطروسك وندرتها يبعث في نفس المؤرخ الأسف الشديد . فاذا ضربنا صفحاً عن كثير من التأويلات والآراء العارضة نقف امام نظريتين متعارضتين متعاندتين . فاما ان نرد هذا التوسع بحقه الاطروسك ، الى عصابات من المغامرين اقتنت أثر رائد مغامر حالقه الحظ ، جرّت وراءها تباعاً جوالي متتالية اقعدت نفوذ القوم ومكنت له ، واما ان تكون تمت هذه الفتوحات وفقاً لارادة مدبرة وخطة محكمة موضوعة ، أعدتها حكومة مركزية ، تبينت عن كذب وحدة ايطاليا الطبيعية فراودتها فكرة تحقيق وحدتها السياسية . ولكل من هاتين النظريتين من البراهين والحجج ما يؤيدها إثباتاً ودفعاً . وهذه الحجج المؤيدة والدافعة معاً ، تنعكس ولو غامضة ، في هذه الحدثن التي وسمت العلاقات بين الاطروسك وروما في تطلعها الى السيطرة والغلبة ، كما تبدو من خلال الاقاصيص الاسطورية عند الرومانيين ومن

التزاويق التي تزين قبر فرنسوا^(١)، ومها يكن، وسواء أجه الأمر قضاءً مقدوراً أو تدبيراً مقصوداً، فالانجازات التي حققها الاتروسك تنسم بالعظمة، وعلى ايطاليا ان تنتظر طويلاً ليطلع على ارضها وفي سماها مثل هذه المآتي وعلى مستواها الرفيع، تقوم بها روما التي وفقت الى إقامة وحدة تجاوزت، بكثير الوحدة التي أنشأها الاتروسك في اواخر القرن السادس قبل الميلاد.

وكم نتمنى لو نستطيع ان نعرف ماذا كان عليه الاتروسك، من نظام داخلي. التنظيم الداخلي فالاطلاع على هذا الامر عامل قوي يساعدنا على تفهم الاهداف التي ترسمها هذا الشعب والصفات التي لا يست السلطان الذي انشأه. الا ان وضع المصادر التي لدينا كثيراً ما يحدو بنا لتفادي الاحكام الرخيصة؛ والانكى، ان نعمم على كل المدن الاتروسكية ما نراه قائماً في روما القديمة، بينما وضع روما وضع خاص بها، مقصور عليها وحدها.

مما لا ريب فيه قط ان المجتمع الاتروسكي مجتمع ارستوقراطي الطابع. يشهد على ذلك ما نراه من مظاهر الغنى والبذخ تتكشف عنها معالم قبور القوم ومدافنهم اذا ما قارناها بالمقابر المتواضعة لجمهرة السواد. كانت مقاطعة اتروريا مثوى عدد طائل من الاسر الكبيرة، ترتبط فيما بينها بروابط الانساب والتضافر والتضام، كما نلص ذلك من خلال بعض التسميات والكنى التي لم يكن ما يحاكيها في عالم البحر المتوسط. فمن العادات التي سار عليها الشرق والشرقيون ان يأتي اسم الشخص متبوعاً باسم والده لتمييز الناس بعضاً عن بعض، بينما راح بعض الشعوب الاسوية، كالليكيين مثلاً، ينتسبون للام، الامر الذي حمل فريقاً من المؤرخين على الظن بسيرهم على النظام الامومي. فقد اتبع الاتروسك الطريقتين المذكورتين واستعملوا معها اسلوباً آخر او اقتصروا عليه وحده. فاسم الشخص يصبح نعتاً او وصفاً للكنية او الشهرة. والجدير بالملاحظة هنا حرصهم على الانساب والاصلاب، الامر الذي ساعد على تكوين مشجرات عائلية معقدة. والظاهر انهم عرفوا، هم ايضاً نظام الاتباع، (*Clients*) الذي نهج عليه الرومان. فمن المفيد كثيراً تحديد تاريخ الاخذ بهذه النظم، اذ لا بد ان يكون تطور المجتمع الاتروسكي قد ساعد كثيراً على تركيز الطابع الارستوقراطي الذي برز في تاريخ متأخر، عندما شبت روما وترعرعت، واخذت تؤثر بعيداً فيما حولها. فاتخاذ الاسم والكنية وقيام نظام (قبلي) متماسك شبيه بما عرف عند الرومان بـ (*Gens*) هو من هذه الاعراف التي

(١) هذه النقوش والتزاويق هي من حقبة متأخرة ترجع الى اواخر القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد. ولو كان بالامكان استنطاقها كما يجب لكشفت لنا كيف ان اهل مدينة فولاي (*Vulci*) تمثّلوا حوادث جاءت على ذكرها تقاليد الرومانيين وحكاياتهم. فهي تصف معارك وجنوداً يخوضون وقائع واشتباكات حربية. فبين اسماء جنود الاتروسك والرومانيين شبه عظم ومحاكاة ظاهرة. من بين هؤلاء المحاربين الذين يلاقون حتفهم في المعركة جندي يدعى *Cneve Tarchunies Rumach* الذي يرادفه باللاتينية *Cnaeus Tarquinius Romanus* فنحن امام جندي روماني من آل تاركينوس.

سارت عليها امم ايطالية عديدة . فلمن الفضل في هذا كله ، ألهرومان ، ياترى ، ام
للأتروسك ؟

ينتظم السلك الاجتماعي عند الأتروسك في قيام مدن عندهم . فقد جاء الكتبة الاقدمون
على ذكر ما اسموه بـ « الدوديكابول » اي حلف الاثنتي عشرة مدينة الذي قام في مقاطعة
اتروريا . غير ان القوائم العديدة التي جاءت على ذكر هذه المدن وتعدادها تختلف فيما بينها
وتعارض فيها الاسماء وتباين . ومثل هذا التباين يطبع كذلك قوائم اتحادات المدن الاثنتي
عشرية التي قامت على شاكلة الحلف الاول في كل من مقاطعتي كبنانيا وسهل البو . والغالب على
الظن ان مجالس اتحادية كانت تعقد اجتماعاتها ، الفينة بعد الاخرى ، في الميدان (الساحة)
الحيطه بالمعبد العام المعروف عندهم *Forum Voltumnae* المجهول الموقع . وقد سارت
الامبراطورية الرومانية فيما بعد على تعيين « محافظ او والي اتروريا » الذي ربما كان رمزاً لاستمرار
رئيس الاتحاد . والذي ييسدو من بعض الحوادث الطارئة ان الوثائم لم يكن ليرفرف دائماً بين
المدن الأتروسكية ، حتى في العهد الذي بلغت فيه المدنية الأتروسكية أوجها ، وان روابط
التحالف التي كانت تشدها بعضاً الى بعض ، تأخذ في التراخي والانحلال في بعض المناسبات .

وهذا الوثائم نفسه لم يكن ليطيع دوماً الحياة الداخلية في المدن نفسها . فقد قامت في
تاريخ متأخر جداً ، منافسات طبقية ، سياسية واجتماعية ، بين الارستوقراطيين وطبقات الشعب ،
وذلك ربما بتأثير ، من روما ، في بدء عهدها الاول ، وفي اعقاب تطور داخلي من العسير
تتبع خطه . ويظهر هذا الوضع بجله ابان الحقبة التي بلغ فيها الأتروسك عظمتهم ، اذ كانت
تبرز هذه الخصومات بمناسبة انتخاب السلطات العامة وتعيين ممثليها في دوائر الحكم . سار
الأتروسك في بدء امرهم على نظام ملكي ، وكان الملك عندهم يعرف باسم (*Lucumon*) ،
وليس بالامكان الجزم في ما اذا كانت الملكية وراثية او انتخابية لمدى الحياة او لمدة معينة .
وقد يكون من المناسب ان نتصور الامور على مثل ما كان عليه الوضع الاجتماعي في المدن
اليونانية التي طبع تطورها ، تطور الحكم والادارة في الادارة الأتروسكية . فقد دقت سلطة
الملك واستقرت تبعاً في المدن اليونانية . وعلى كل ، فالقول بغلبة النظام الاوليفرشي او حكم
الاقلية ، امر يقبله العقل ولا يثير اي اعتراض . وتطور مدلول لقب الملك مع الزمن ، فاطلقوه
تارة على كبير القضاة بعد ان جلس الملوك قديماً للقضاء طويلاً ، وطوراً على شيوخ او امراء
الاسر الكبيرة التي كان الملوك يختارون من بينها . وأحيط الملوك والقضاة بمراسم عظيمة من
التكريم والتبجيل والتعظيم سرت من الأتروسك ، فيما بعد ، الى الشعب الروماني الذي سار
عليها . وعثر المنقبون ، في مدينة فيتولونيا على اداة حديدية تمثل اضمامة من القضبان *L'uisceau*
يبرز من بينها فأسان . ويعزو الاقدمون ، باتفاق الآراء ، الى الأتروسك فكرة السلطة التي
يمثلها حكمة الفؤوس الـ *Lictors* الذين كان عددهم يوازي عدد المدن الاثنتي عشرة المتحالفة ، مما
يدل على ان النظام الذي اوجدوه هو نظام اتحادي اكثر منه بلدي ، والكروسي المشيخي ، والشال

الروماني الموشى بالارجوان ، والرداء الارجواني الذي يتدثر به قائد الحرب ، واحتفال النصر وما يصحبه من مراسم التعظيم والتبجيل ، وغير ذلك من الشارات التي تتم عن السلطة العليا والمسؤولية. فالنظم الاتروسكية اثرت بعيداً، ولا شك، في النظم والاعراف التي سار عليها الرومان فيما بعد وكان للاتروسك فضل السبق اليها والعمل بها. فراح الرومان يقتبسونها ويطبقونها في بلادهم.

ديانة الاتروسك وعلى هذا النحو نهج الاتروسك في ديانتهم وتمتعوا في روما بشهرة واسعة، اذ ان من مميزاتهم المفردة تضلمهم بأمور الدين والامثال الحرفي لوصاياه وفواهيته .

ليس لعمرى ما يميز ديانتهم وأساطيرهم الدينية. فاذا ما وقفنا عند بعض أسماء آلهتهم وجدنا ان بينهما ما هو اتروسكي محض مثل الاله تين (Tin) الذي يرادف الاله جوبيتر ، والاله طوران Turan الذي يوازي الالهة فينوس او الزهرة . ويقوم بين مسميات هذه الالهة من الموصفات المتشابهة ما يشير الى أصلها الاغريقي اللاتيني . وبعض الالهة الأخرى ، أمثال : اوني Uni (جينون ، ومنيرفا ، وماريس (مارس) هي ايطالية الاصل او المصدر ، او بالأحرى كيتها الاتروسك بعد اقتباسها بحيث برزت ايطالية الوضع او المنشأ . بينا هنالك آلهة أخرى مسمياتها اغريقية الاصل جرى اقتباسها رأساً من الاغريق، منها مثلاً هرقل Hercle او هيرقليس الذي له شأن أكبر عند الاتروسك منه عند اليونان ، بينا الاله ابولو وشقيقته ارتوم Artume او ارطيميس لم يطرأ عليها، لدى اقتباسها، أي تعديل او تبديل . اما مناقبية هذه الالهة والصور المشبهة لها والاساطير المتناقلة بشأنها، والأقاصيص المروية عنها فيبينها تباين عظيم من قطر وآخر. ومن الخير والمفيد جداً ان يقوم من يتصدى لشرح الوثائق التي تمت اليها ويحدد منها التاريخ الصحيح . فالصادر التي نعول عليها هي متأخرة جداً وتشهد عالياً بعملية الهكسنة، والتأغرق التي خضعت لها ، وهي عملية تمت تدريجياً وعلى مراحل ، على ضوء الصور والرسوم التي ألهمتها وأوحت بها ديانة اليونان وأساطيرهم .

المعرفة والطقوس الدينية بما يميز الاتروسك ، بالنسبة للأقوام الغربية على الاقل ، من وجهة الديانة التي تمت بأكثر من سبب الى ديانة بلاد ما بين النهرين ، هذا

الخضوع والخشوع والاستسلام المطلق لمشية القوى العليا التي تحركها مقاصد خفية . فالانسان في ضعفه المتناهي، لا سبيل امامه إلا الاستبانة عن هذه الارادة والكشف عنها لئلا يأتي عملاً لا تكون راضية عنه ، وان يبذل في جميع حالات الشك وقلة اليقين ، كل شيء في سبيل استئلتها وكسب رضاها . كل الظواهر الخارجية هي ، من حيث المبدأ ، لإعلان عن امر ما ، واينذار له ، بشرط ان نتبينه وان نحسن تفسيره وتأويله . فجميع ظاهرات هذا العالم ترتابط ، والحالة هذه ، فيما بينها وتتمسك بقوة؛ ومدلول كل ظاهرة لا بد ان يتعدى بكثير المسببات، مها بدت طبيعية . ففي رد الاسباب الى أصولها الصحيحة ، تعبير عن رغبة الالهة في تحذير البشر منها وإنذارهم بشرها . وهذه الانذارات تبرز بأجلى بيان يمكن للانسان ان يتصوره ، بواسطة

الصواعق والرعود . غير ان أية ظاهرة طبيعية أخرى، مهما دق شأنها ، يغير مظهرها النظام الطبيعي للأشياء ، عدما الانسان من الخوارق وتطير منها . وهناك علامات وإشارات لا يمكن ان يتبينها الانسان ويفقه معناها ومدلولها إلا بعد جهد وعناء وبحث واستقصاء . وهذا البحث هو على نوعين : الاول زواج الطير ، كطيرانه من جهة معينة من الجو ، وفقاً لمواصفات دقيقة تلبس الاتجاه وتطبعه . والثاني هو فحص احشاء الذبائح ، ولا سيما الكبير منها ، وموضع اجزائها الدقيق ، اذ ان كلا من هذه الاوضاع يرمز الى إله معين من الآلهة ، كما يشير بالتالي الى ما هو وضع هذا الاله من الرضى او عدمه . كل هذه الأشياء والأمور تفرض وجود علم باصول ، لا يحسنه إلا الضالعون به المتمكنون من أسرارهم . وكشف الغيب اختصاص يقتضيه له التمرس الطويل باحكام تقاليد العبادة والكتب الدينية . فاذا ما ووجعت هذه الكتب في الوقت المناسب وجد فيها من يحسن قراءتها وتفسيرها واستنطاق رموزها ، الجواب الشافي عن كل ما ترغب الآلهة فيه ، كما يقف منها على الأساليب والطرق والأعمال التي يتوجب على الانسان ان يتقيد بها بكل دقة . ويكفي الانسان ان يتمسك حرفياً بهذه المراسم ويطبقها بنصها حتى يخامرهم الامل بإمكان التأثير على هذه القوى العليا التي بيدها مصيره . ويرافق عملية الكشف عن رغبة الآلهة ومقاصدها الخفية والبعيدة عن ادراك البشر ، القيام بعدد لا يحصى من الأدعية والابتهالات والتضرعات والإشارات التي لا بد من الاتيان بها على نحو معين . فقد تركت لنا هذه الكتب وصف المراسم الدقيقة التي يجب التقيد بها عند إنشاء او تأسيس مدينة ما ، واتجاه الشوارع وتقاطعها عمودياً ، وكيفية طمر القرايين المقدسة في حفرة معينة ، ومدى الدائرة المقدسة التي يجب رسمها على المكان الذي تنشأ عليه هذه المدينة ، تشقها سكة محراث ، باستثناء مواقع الابواب الخارجية . والمراسم المتعلقة بانشاء المعابد والهيكل ، هي أدق مما وصفنا بكثير . اما ما يترتب على الانسان من اعمال وتصرفات بعد كشف الطالع ، فعدد كبير من المراسم والمناسك والحركات المختلفة ، عليه ان يتمها ويتقيد بأصولها وأحكامها وفقاً لتعليمات الكهان وارشاداتهم ، ووفقاً لمنهج لا يصح الخروج عليها ، من قرايين وأضاح وتكريسات ، وولائم تقام على شرف تماثيل الآلهة وانصاتهم .

ومن الطبيعي ايضاً ان تجري خصوصيات الحياة وفقاً لمراسم دينية دقيقة فيحمل الناس التعاون والطلاسم التي يرد معظمها من مصر . والسير وفقاً لهذه الاعتقادات يفرض بالمرء الى النجامة والجوسية ، كما يظهر من بعض الآثار التي وصلت اليها من ذلك العهد . غير ان قلة المصادر تحول دون وصف هذه المراسم الدينية بالتفصيل ، ولا تستفيض الا بذكر المراسم والاحتفالات الخاصة بممارسة الوظائف الرسمية العامة التي انتقلت بحذافيرها الى روما ، لدى اقتباسها النظم السياسية التي اقتبستها عن الاتروسك والتي تؤلف معها قسماً متمماً لها . الم تكن اتروسكية الاصل ، هذه الطلاسم والحيوانات المؤلمة التي كان يحملها قضاة روما وهذه الاحتفالات الصاخبة التي كانت تقام في طول البلاد وعرضها بمناسبة الظفر والنصر في الحروب ؟ الم تكن

اتروسكية علوم الفأل والمصا المعقوفة التي كان يستعملها العرافون في كشف الطالع ؟ وهذه العيافة ، اي عادة فحص امعاء الذبائح واحشائها ؛ اتروسكية الاصل عادة التسليم بالخوارق وكل المراسم والتوسلات التي يجب الاعتصام بها لابعادها وابعاد المصائب التي تجرهما . فالاحترام المقرون بالاعجاب الذي كان يكنه الاتروسك للنظام ولعلوم الدين كان الباعث الاول على الاحتفاظ بعلوم الدين وعلى نقلها للغير .

الحياة الاخرى ساعد الكشف العلمي عن القبور ونبش ما كانت تحويه من تزاويق وامتنعة ومفروشات ، على تكوين صورة عن فكرة الموت والحياة الاخرى عند الاتروسك قديماً . فالكل كان يعتقد بالحياة والبقاء بعد الموت . وكان الاحياء يحاولون تعويد الناس على فكرة الموت عن طريق الجنائز ومراسمها ، وعن طريق اقامة المآدب والملاهي ، وحرصهم على حفر صورة الميت وزوجته على الضريح ، محاطين بكثير من الحاجيات المنزلية كالاسلحة والحلى وما شاكل . ان ايجاد الجو العائلي في القبر يجعل المرء يعتقد ان الميت انما هو حي ، يعيش بعد ، وبالتالي فما من موجب او داع قط للاسف والاسترسال للحزن العميق ، كما توحى بذلك الرسوم القديمة التي تغشى جدران القبور . صحيح ان هذه الرموس المزركية هي وقف على الشخصيات الكبيرة ، ولكن ما عسى ان يكون لعمرى ، مصير ممثلي الطبقات الفقيرة المسكينة ؟

سار الناس طويلاً على عادة فرش القبور وتأثيثها بالحاجيات المنزلية . الا اننا نرى منذ القرن السادس فكرة جديدة تبرز ، ولا تلبث ان تتحكم بالاذهان منذ القرن الرابع . من النظر ملياً في الرسوم القريبة يتضح ان جميع الموتى ، حتى من كان بينهم من ذوي الجاه ورقعة الشأن ، هم في سبيل رحلة طويلة بعيدة في مملكة الظلام ، وهي رحلة تبعث الاسى الشديد في النفس ، يدفعهم أبالسة تصطك لمنظرهم الفرائص ، وقد انحطف منهم اللون وشعب المنظر وكشروا عن انياب حادة ، اجسامهم مزيج من اعضاء الانسان والحيوان ، لهم من الطيور الخواطف مناسرها الحادة ، ومن الحصان او الحمار اذنه ، حاملين بايديهم مطرقة لتوجيه ضربة قاضية الى المسافر . وما هو عزرائيل (Charun) يخطف الميت من بين ذويه فتتراكض الافاعي والشعابين منسابة حوله تفح في اذنه . فيا لها من مملكة تبعث الرعب في النفس والهلع في القلوب لأركانها رأس ذئب ، وقد اختفت البسمة امام مرأى تين مفترس يحمل بين يديه عدة التعذيب .

فالآثر الهليني يبدو واضحاً في بعض هذه الافكار كما يبدو جلياً في ميثولوجية جهنم . واسماء ملك مملكة الظلام وزوجته فرسبناي Phersipnai عند الاتروسك هي نفسها عند الاغريق وهما هاديس وبرسفوني . فاذا كان Churun ملاك الموت عند الاتروسك ، يأخذ اسمه من Churon ملك الموت عند الاغريق ، وعابر الارواح فوق نهر الستيكس (Styx) هو النهر الذي يحيط سبع مرات يجهم حسب معتقدات الاغريق ، يتلبس عند الاتروسك دوراً وصفات

نخيفة. وهؤلاء الأبالسة والشياطين الذين قال الآتروسك بوجودهم ونقلوا الاعتقاد بهم عن أساطير الشرق ، إنما دخلوا الميثولوجيا الآتروسكية عن طريق الآغريق . فروح التسليم والرضوخ التي كانت تلتطف عند الآغريق من لوعة المحتسب أو المفجوع بأحد أعزائه ، تختفي تماماً عند الآتروسك ليحل محلها عند الميت ، روح متشائمة تعكس تماماً صورة حياة بشرية حطمتها قوى غاشمة لا تلين ولا ترحم .

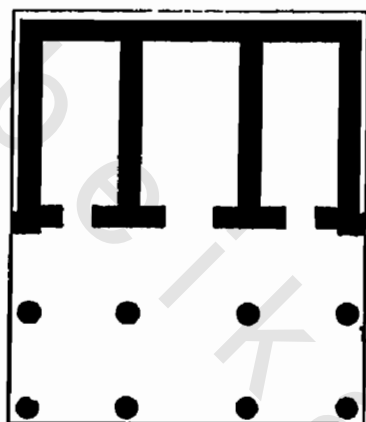
يبرز هذا الفن بحلاء المؤثرات التي تلقاها من الخارج وخضع لها ، وهي مؤثرات الفن الآتروسكي شرقية ، في بادئ الأمر ، اتصلت بالآتروسك عن طريق الفن الآغريقي القديم الذي عرف هو أيضاً طوراً شرقياً ثم هليينياً بعد ذلك . ولا شك عندنا في أن بعض رجال الفن من الآغريق استدعوا للعمل في مقاطعة اتروريا ، فأفاضوا من فنونهم على ما كان معروفاً عند الآتروسك من أصول هذا الفن . ويحاول النقاد المعاصرون جاهدين ، أن يتبينوا الصفات المميزة للفن الآتروسكي الأصيل ، وهي صفات ملازمة فيه ، مفردة له ، إنما تبقى محدودة المدى والأثر لثلاث تذهب بالانطباع العام .

وهذه الصورة تصدمنا من الوجهة الفنية بما فيها من نقص قاضح . فقد استخدم الآتروسك الشبهات (البرونز) والفضة ، والذهب ، والفضة ، فلم يعنوا بنقش الرخام ، هذا الرخام الذي غالى الآغريق ، ومن بعدهم الرومان ، باستخدامه على نطاق واسع ، وحفره ونقشه . كثيراً ما عوّلوا في عمارتهم ، منذ القرن الخامس ، قبل الميلاد ، على المقود والقناطر التي أخذوا استعمالها من الشرق وأدخلوا عليها تحسينات جمة ، بينما أهمل الآغريق الاعتماد عليها . ويقتصر على الغالب ، الأثر الذي أحدثوه هنا على فروق بسيطة .

هنالك أنواع شتى من قبور الأغنياء . منها ما نقش في قلب الصخر الصلب أو تم بناؤها ، تنتظم حُجَرُه أمام ممر ، أو تأتي على طراز منزل عادي . وأهم هذه القبور هيّل التراب على سقوفها وشيد حول السطح جدار مستدير ليمنع سقوطه . هنالك قبر أو ضريح عثر عليه بالقرب من شرفتي C'ervetri ، بلغ قطره ٤٨ متراً . أقيم فيه خمس ممرات ، تمر من الخارج إلى الداخل ، ثم يبتدىء ممر سادس ، مستدير الشكل ، هو الممر الوحيد الذي يبدو أن اللصوص ونباشي القبور احترموه لأنهم لم يدروا به ، فلم ينهبوه . والقبر المذكور جرى استخدامه مدقناً لأسرة كبيرة طوال قرنين من الزمن ، أي من القرن السابع إلى الخامس ، قبل الميلاد . وعندما نبش المنقبون استخرجوا منه ، في عداد ما استخرجوا ، هيكلين عظيمين لبعض الأرستقراطيين ، وجرة قبرية متواضعة الشكل ، وغير ذلك من الحلي والذهب والبرونز .

والهيكل التوسكاني الطراز الذي ترك فيتروف وصفاً دقيقاً له ، كان يتألف عادة من ثلاث حجرات ، وهي هندسة كانت تتكرر عملياً في كثير من الهياكل ، منها هيكل جوبتير

الكابيتولي ، في روما حيث نرى هذا الاله يعتمد الى الالهين جونون وميتروفا . ولكن كلمة الاتروسك لا تؤلف دوماً دائماً واضحاً ، كما ان بعض هياكلهم كانت تتألف من حجرة واحدة . فاذا كان تأثير الهيكل الاغريقي يبدو واضحاً ، فالهيكل الاتروسكي ، يبدي مع ذلك ، بعض الفروق . من ذلك مثلاً انه يقوم على قاعدة حجرية عالية ، كما ان بوابة المدخل الرئيسي تقوم فوق اعمدة ؛ وهي بوابة ضخمة لا تزدهن بشيء من النصب او التماثيل ، قبل القرن الرابع .



الشكل ٣ - تصميم نظري لمبنى اتروسكي عرضه ٦ أجزاء طوله . علو الأعمدة فيه يجب ان تكون ثلث العرض وعرض الحجيرات الجائنية يوازي ٣/٤ الحجيرة المركزية .

والهيكل الاتروسكي ، كصنوه الاغريقي القديم الطراز ، كانت مادته الاولى من الخشب ، اقله الاعمدة والسقف ، الا انه اطول منه بكثير . ولكي يحفظوا الخشب ويصنوه حيناً برز وظهر ، كانوا يغطونه بقوالب من التراب المشوي ، يخلطونها بالنقوش والالوان . وعلى هذا النهج سار الاغريق انفسهم . انما ساحة الهيكل المغطاة بهذه القوالب ، عند الاتروسك ، كانت تتطلب الكثير من القوالب وعناء كبيراً في التزويق . فالاتروسك يعتمدون هذا الفن بعزل عن التصميم الهندسي ، ولم يلبث ان اصبح عندهم ابرز معالم النقش ، واعطى آثاراً رفيعة من الدرجة الاولى ، اشهرها

واسيرها ذكر أعلى الاطلاق ، تمثال الزهرة (فينوس) في مدينة فايي (Veies) الذي كان يؤلف جزءاً ، من مجموعة فنية لها مقاييس الانسان الطبيعية ، وتمثل احدى اساطير دلف التي تروي حكاية شجار ابولو وهيرقليس بشأن الظبية ذات الرجل النحاسية ، وذلك على مرأى ومشهد من ارطيميس وهرميس . وبين الآثار التي اكتشفت ايضاً في هذا المبنى ، معالم تم عن وجود فئات اخرى . ومن الممكن جداً ان يكون ناحت تمثال ابولو اغريقياً ، الا انه من الأرجح ان يكون اتروسكياً ، اذ لا يزال التاريخ يحدث عن شهرة معامل مدينة فايي ومهارة صناعها ، بينهم فولكا (Vulca) الفنان الاتروسكي الوحيد الذي احترم التاريخ اسمه ، فاستدعته روما ليشترك ويعاون في تزيين تمثال جوبيتر الكابيتولي الذي يمكن ان يضاهي ابرز الآثار الاغريقية من هذا العهد (اواخر القرن السادس ومطلع القرن الخامس قبل الميلاد) وذلك لما في حركة الجسم من حيوية ونشاط ، وبما تفتر عنه البسمة من إغراء ، وبما عليه من نظرة مثيرة تشع على الوجه كله . وهذا التمثال يبرز بكثير التماثيل الاخرى التي تمثل الرجال والنساء متكئين الى موائد الولايم ، او تغطي وجه بعض النواويس او الحجرات القبرية . وكثيراً ما تم صنع هذه التماثيل بروح حية ، واقعية ، تقارب أحياناً الرسوم الهزلية ، فيبدو معها تهزل البطن ، وتنافر

أعضاء الجسم ، وبروز العضلات . فنحن هنا ، ولا شك ، أمام آثار اتروسكية الوحي والفن ، فيها من الحقيقة العارية ما لا يخلو من طعم ودسم ، بحيث أثرت بعيداً بفن الرسم عند الرومان .

ودراسة الآثار الشبهانية والرسوم الاتروسكية تفضي بنا ، هي الأخرى ، الى ملاحظات شبيهة بتلك التي أبديناها . فقد كادت الأولى منها تفقد من الوجود لكثرة ما تعرضت له من نهب وسلب ، اذ ان الرومان حملوا من مدينة اتروسكية واحدة غزوها ، ٢٠٠٠ قطعة مختلفة من البرونز . وقد وصلت البنا تحفة رائعة من هذه التحف هي : « ذئبة الكايتول » حيث يطالعك فن طبيعي عار يتسم بالانسجام . اما الرسم ، فليس بين معامله ما يبرز على هذا الشكل . فهو خير ما يتجلى في هذه الرسوم التي تغطي جدران القبور ، فتبرز الشخص في انسجام حركاتها وتوافقها في هذه المشاهد المتحركة التي أشرنا الى تطورها من قبل . واننا لنلمس هنا لس اليد أثر الاغريق في إحراز هذا التطور ، وفي هذا المرايا البرونزية التي حرص الفنان على ان يحلي منها القفا بصورة حية .

وصفوة القول ، لا يمكن ان ننظر الى الفن الاتروسكي كفن اغريقي محلي او اقليمي ، نوعاً ما ، إلا انه فن لا يمكن تفهمه اذا ما ضربنا صفحاً عن مؤثرات الفن الاغريقي ونقله لها واقتباسه لنظريات ، او تغاضينا عن العديد من الموضوعات الاسطورية التي عالجه وحيزها في هذه الادوات التي صدرها بمقادير هائلة الى ايطاليا والتي قام ينحونحوها رجال الفن الاتروسكي من رسامين ومصورين ومفرغين ، ويقلدونها .

من الادلة القاطعة على تأثر الاتروسك بالحضارة الهلينية ، الركون المخطاط المدنية الاتروسكية
الذي اعتري ، الى حد ما ، الفن الاتروسكي خلال معظم القرن
الخامس ، وهو قرن قام فيه من المشاكسات السياسية والاصطدامات
الحربية بين الاغريق والاتروسك ما انقطعت معه العلاقات الثقافية والفنية بين الطرفين . والثابت ان كل ايطاليا الاتروسكية عرفت اذ ذاك ، ازمة حربية وسياسية تركت اثراً بعيداً في حياة البلاد الاقتصادية .

فأزمة النظام الملكي في روما ، ونهاية السيطرة الاتروسكية ، وقعتا معاً في وقت واحد ، اي في اخريات القرن السادس . وراحت فايي ، اقرب المدن الاتروسكية ، تحاول التحكم بمعاير نهر التيبر . فنتج عن ذلك حروب طويلة بالرغم من المواثيق التي تكرر عقدها ، والمعاهدات التي كانت تضع حداً لها . وقد انتهت هذه الحروب بعد جهاد عنيف دام قرناً بكامله ، باستيلاء روما على مدينة فايي . وبعد ذلك بقرن ونصف ، تمكنت روما من السيطرة على مقاطعة اقروريا ، اذ اشتد منها العضد وازدادت قوة وبطشاً إثر فتوحات اخرى حققتها . ولكن ، ماذا من القضية منذ البدء ، وما الذي كان عليه الوضع في بادئ الامر ؟ فالمقاومة الشديدة التي ابدتها روما ، والانتصارات التي حققتها تبعاً في حروبها ضد فايي لا يُفهمان ، الا من خلال الموقف الحيادي الذي وقفته منها المدن الاتروسكية الاخرى ، فاضطرت هي ان تخوض الحرب وتدخل المعركة

وحدها ، ناهيك عن الهجمات التي تعرضت لها مستعمراتها في الخارج .

اما على ساحل مقاطعة كمانيا فقد هب سكان مدينة سيراكوزة الاغريق الى نجدة بني قومهم من سكان مدينة كوم (Cumes) ، المشتبكة بعراك طويل مع الاتروسك ، وفازوا عليها عام ٤٧٤ ق.م ، في موقعة بحرية كثيراً ما غناها الشاعر الاغريقي الأشهر بنداريس ، والتي خلّد ذكرها في النفوس طاغية سيراكوزة هيرون *Hiéron* بتكريسه لإله اولمبيا ، خوذة للعدو وقعت في ايديهم . وما عتّم ان زال اسطول الاتروسك وعمارتهم البحرية ، مما ساعد الاغريق على احتلال جزيرة ألبا ، وإنشاء موطىء قدم لهم في جزيرة كورسكا وعلى ساحل البحر الادريا تيكي الشمالي ، وهاجموا سواحل اتروريا نفسها . وهكذا بعد ان تم عزل مقاطعة كمانيا وامتنع اتصالها بالبحر ، اذ كانت روما تسد المنافذ اليه ، ومن البر ، وقعت غنيمة باردة في أيدي السمينين الذين انحدروا اليها من جبال الالبيين ، متجهين نحو السهل والساحل ، واستولوا على مدينة كابو في منتصف القرن الخامس . ولم تلبث ان أصبحت سيطرة الاتروسك على هذه المقاطعة أثراً بعد عين . وتلاشت هذه السيطرة كذلك في سهل البو ، منذ مطلع القرن الرابع ، اثر غزو الغالين لهذه المنطقة واستيلائهم على مدينة فلنسينا ، واستبدلوا اسمها باسم جديد هو «بولونيا» الذي لا تزال تعرف به اليوم ، ولم يبق للاتروسك سوى مقاطعة اتروريا بالذات التي لم تعتم ان وقعت تحت سيادة الرومان وسيطرتهم .

وبالرغم من اقتطاع أوصالهم ، صمد الاتروسك في وجه الفتح الروماني . إلا ان مدنيّتهم لم تذهب بسقوطهم السياسي . فبعد الركود الذي اعترى هذه الحضارة في القرن الخامس ، عادت اليها حيويّتها ونشاطها في القرن الرابع ، عقب زوال سيطرة سيراكوزة التي اقام الطاغية دنيسيوس دعايتها وعرف بقوة شكيمته ان يوسع من آفاقها . وراح الاتروسك يعمدون صلاتهم بالحضارة الهلينية . غير ان الأزمات والحروب التي خاضوها ضد جيرانهم فمركتهم بثقلها ، فتت في عضدهم ، فسيطر على نفوسهم التشاؤم واستسلموا لقضاء القدر الغاشم . وبعد ان رسخت سيادة روما وأعرقت جذورها في الارض اخذت حضارة الاتروسك تأفل تدريجياً لتزول تماماً مع ظهور المسيحية . وبعد ان تكلّمتْ البلاد ، دخلت حضارتهم في خبر كان ، ويأتي مورخو الرومان على ذكرها لماماً ويروون أخبارها تنقاً مبعثرة .

ولم تنتظر هذه الحضارة ساعتها الاخيرة لتنقل للناس تراثها المجيد . فقد اقتبست الكثير من عناصرها المقومة عن الاغريق ، وهو اقتباس يبدو أكبر قدراً وأضخم صدراً اذا ما رقصنا الأخذ بنظرية أرومتهم الشرقية وقبولهم في التحضر والنقل ، على الايونيين . ومها يكن من الأمر ، فبعد ان تبذت للاتروسك إمكانية تحقيق وحدة ايطاليا السياسية ، انصرفوا لتحقيق وحدتها الأدبية ، معتمدين في ذلك على بسط حضارتهم على الأقوام والشعوب الايطالية . وعن طريق الحضارة الاتروسكية تعرفت شعوب ايطالية كثيرة ، تدريجياً ، الى المدنية الهلينية ،

وبالتالي الى الشرق ، فأمدتهم من ذاتها بالكثير من عوامل التحضير والتمدين كالتقنية المادية ، وبنظريات وأفكار واذواق جديدة أفرغتها وسكبتها بقوالب ايطالية الطابع . ويجب ألا يفوتنا التنويه ، على الاخص ، بما لها من فضل كبير على روما بالذات ، مما ألحنا اليه لماماً في المناسبات العارضة . من ذلك مثلاً ، كما يرجح كثيرون ، نقل الايجدية الى الرومان وان قام من لم يسلم من المؤرخين بهذه النظرية . وبما لا شك فيه ان الرومان نقلوا عن الاتروسك ، في عمارتهم ، الباحة او دار المنزل (*Atrium*) ، وهذه الملامح التي ترافق الجناز ، وكثيراً من عناصر الهندسة المعمارية وقواعد مسح الارض وغير ذلك . فروما مدينة للاتروسك ايضاً بأكثر من هذا : فهي مدينة لها بكيانها الاول بالنظم الادارية والسياسية التي سارت عليها . فقد نشأت بمعاونتهم ووفقاً للمراسم المتبعة عندهم . وقد حكم روما ، منذ تأسيسها الى قلب النظام الملكي فيها وإعلان الجمهورية ، عام ٥٠٩ ، ملوك من اصل اتروسكي أمداً وروما بملكات الجيش وأقاموا أطره وفقاً للمناهج والتنظيمات الاتروسكية .

وهذه المدينة التي كتب عليها الزوال والانقراض ، كانت من أشد العوامل التي ثقفت المنتصرين عليها ، فانتقلت اليهم وعاشت فيهم .